

لِنَبِيذِ الْإِزْدَرَاءِ، وَلِنَحْتَضِنَ الْمَحَبَّةَ.

الازدراء أم المحبة؟ — حِـسـدو سَمِـتـكـ

نُبْنُوه سَمِـتـكـ هُنُسُكُوه سَمِـتـكـ

هذا النصّ يكشف عن العلاقة الخفية بين أعماق اللغة ودقائق التكوّن الروحي للإنسان. فالكلمات ليست مجرد أصوات، بل اهتزازات معنى تتردد في باطن الإنسان وتشكّل عالمه الداخلي.

وفي اللغات العريقة، كالسريانية، تغدو هذه الاهتزازات أعمق أثرًا. فهنا، قد يؤديّ تغيير نقطة أو حركة صغيرة في صوت الحرف إلى تبدّل لا في الحرف فحسب، بل في عالم المعنى الإنساني ذاته.

فالنقطة الصغيرة قد تحمل معنًى عظيمًا؛ كما أن فرقًا يسيرًا قد يحدث تحوّلًا جذريًا في القلب بلمسة واحدة.

وأحيانًا، تصبح تلك النقطة رمزًا لعبور الإنسان من الحسد إلى المحبة، ومن الجرح إلى الرحمة.

إن السريانية ليست لغة فحسب، بل هو أفقٌ من الحكمة تتداخل فيه المعاني والمشاعر والحدوس. ففي هذه اللغة، قد تحمل الكلمة الواحدة الظلمة والنور معًا، لأن طبيعتها تقوم على إدراكٍ للمعنى ينضج بانسجام الأضداد. وكلما تعمّقت في مفهوم، لامست حدود نقيضه. ومن هنا، تغدو الكلمة في السريانية مرآة مزدوجة تعكس الحياة بكلّ تناقضاتها. ولإدراك هذه المرآة، لا بدّ من النظر إلى قلب اللغة: إلى سرّ النقطة.

وفي السريانية نظام خاص من العلامات يُعرف بـ **ܪܘܟܟܘܟܐ (rukoko)** و **ܟܘܫܘܝܘܐ (kušoyo)**. فبالنقطة التي تُوضع تحت حرفٍ، يُليّن الصوت، وبالنقطة التي تُوضع فوقه يُشدّده.

غير أن القضية ليست أداءً صوتيًا فحسب؛ بل قد تُغيّر نقطة صغيرة معنى كلمة بأكملها — بل قد تُغيّر مصير إنسان.

تمامًا كما في الحياة...

نظرة، كلمة، صمت، لمسة... أحيانًا يكون فرقٌ ضئيل كافيًا بأن يحدّد مسار العلاقات.

كما أن نقطةً توضع فوق حرفٍ يمكن أن تُغيّر مصير الكلمة، كذلك الرحمة التي تلامس قلب الإنسان تُغيّر اتجاهه الداخلي.

وهكذا فإن **حِـسـدو / حِـسـدا (ܫܫܕܘܐ)** من الكلمات التي تحمل هذا العمق. فهي تدلّ في آنٍ واحد على المحبة وعلى نقيضها.

ف عندما توضع نقطة فوق حرف الدولات (D) — (DDDD) — يشتدّ الصوت، وتكتسب الكلمة معنًى هدامًا: السبّ، والاحتقار، والإقصاء، واللوم، والازدراء، والسخرية، والإدانة...

وبهذا المعنى، تعبّر “جسدو” عن الظلمة التي يسقط فيها الإنسان حين يبتعد عن المحبة.

فاللغة حين تختلط بالكبرياء، تُباعد بين القلوب؛ ويتحوّل الكلام من وسيلة للمحبة إلى أداة للحكم والإدانة.

لكن الكلمة نفسها، حين توضع نقطة صغيرة تحت حرف الدولات — (DDDD) — تنقلب دلالتها في لحظة: محبة، رحمة، نعمة، إحسان، شفقة...

وهنا تصبح “جسدا” تعبيرًا عن الدفء الإلهي الكامن في الإنسان؛ عن حالة وجود تُرمّم بالمحبة، وتجمع بالرحمة.

وما يفصل بين هذين المعنيين ليس مجرد نقطة، بل هو فرق في الوعي.

فالحياة ذاتها تقوم على هذا الحدّ الدقيق: قد ننفصل عن المحبة في لحظة حكم، وقد نعود إليها في لحظة فهم.

وما من جسرٍ تهدّم بقسوة “جسدو”، إلا وفي إمكانه أن يُرمّم بلطف “جسدا”، لأن وراء كل انكسار قلبًا ينتظر من يلمسه بالرحمة.

و حين ينتبه الإنسان إلى موضع النقطة في لغته، ينبذ القسوة، ويحتضن المحبة.

ملفونو يوسف بختاش

رئيس جمعية الثقافة واللغة السريانية وادبها / ماردين

